



## معرض أحمد معلّ في «غاليري مارك هاشم»: حشود وألوان في عين العاصفة

يكتسب معرض الفنان السوري أحمد معلّ أهمية بالنسبة إلينا، كونه المعرض الشخصي الأول الذي يقيمه في بيروت فنان له تجربة بارزة على مستوى التشكيل العربي، وله تجربته اللافتة، لجهة تفردا وتميزها بين تجارب زملائه. وقد اتخذ من الواقع العربي والإنساني موضوعاً للوحته، بل جعل لوحته أشبه بعمل ملحمي يختصر به التاريخ أكثر مما يشير إلى واقع بعينه أو زمن محدد، بعيداً عن أي خطابية أو هدير لوني تحت عنوان الالتزام.

يبقى مشهد الحشود البشرية طاغياً في معرض أحمد معلّ، وإن اتسعت اللوحات لتجربة أخرى يبحث فيها الفنان عن حظه من الموجة الحروفية التي اجتاحت فنانين عرباً كثيراً، ولم تتحول بالتالي إلى مشروع هوية فنية عربية. فالمعرض الذي يقام في غاليري مارك هاشم (وسط بيروت)، لغاية 5 نيسان المقبل، ضم 23 عملاً مشغولاً بمادة الأكريليك، (ما عدا عملاً نحتياً واحداً)، بأحجام مختلفة تكسر التكرار الهندسي الذي نراه في بعض المعارض، وتتعامل مع العين بحضور أكثر للحركة الناتجة عن هاجس التنوع.

### أمواج الحشود



وإذا اختلفت أعمال المعرض بين لوحات الحشد البشري واللوحات الحروفية، فإن الحركة، التي يقدمها الفنان، بكل ذلك الشغف والتوهج، توحد الأعمال، والعواصف نفسها التي تهب على شخوص اللوحات تهب أيضاً على الأحرف العربية التي تتلوى بدورها مع انفجالات ريشة معلّ وأهوائه ونزقه البارز في الأعمال. ذلك النزق الذي يصل إلى التعبير عن وحشية العالم الذي يصوره مرة بوحشية لونية، وإلى اللعب الحر واللغو بتلقائية طفولية مرة أخرى، على أن اللغو يظهر أكثر ما يظهر في الحروفية التي يدرجها الفنان من التزيين البصري في مساحة لونية ترقص أمام العين، إلى تحويل الكلمات أو الحروف إلى شخوص تتمايل وتتحرك على سطح اللوحة أو في عمقها. هكذا نرى الفنان لا يهدأ، كأنما يركض من أقصى الحكمة إلى أقصى اللعب الهائم أو أقصى الجنون. وهو بهذا يوسع خياراته من داخل التجربة نفسها.

نحن إذاً أمام أسلوب أتبعه أحمد معلّ في أكثر من معرض، يحول فيه اللوحة إلى مسرح، والناس إلى ممثلين يعبرون فيه عن أنفسهم ومعاناتهم وطبيعتهم، هذا المسرح الذي لم يقتصر الحضور فيه على البشر، بل ضم في لوحات كثيرة سابقة الكثير من الحيوانات التي جعلها تقف أمام الناس كأنها تقف على منبر، أو تنبح في الحشود كأنها تأمر وتنهي. إنها المعاناة المؤلمة التي تحملها وجوه الناس، المعاناة التي توحد الوجوه وحركة الأجساد من دون أن تتحول إلى حركة تكرارية مبسطة. ذلك أن الفنان يقدم أمواجاً من البشر من دون أن يكون المكان محدداً، ومن دون أن

يوجد لهم زمان، هم يأتون من اتجاهات مختلفة، وربما من أكوام مختلفة، حتى إن أمواج حركتهم تتبدل في اللوحة الواحدة. ينفرد بعضهم ويتزوج بعضهم الثاني ويتحاشد بعضهم الثالث... فالمساحة الواحدة تشكل ذلك المسرح الذي يحمل في أقسامه شرائح ونماذج من البشر، الذين تجمعهم حياة تراجمية قاسية، مسكونة بالقلق والاضطراب.

### كابوسية

لا يكتفي الفنان إذاً بعدم تحديد الزمان، والمكان، والجهة التي تأتي منها الحركة، بل هو يمحو أيضاً ملامح الناس، ليدخل أكثر في لغة الاختصار، وفي تكييف الذاكرة التي يستحضرها، كون اللوحة عنده ليست مجرد معاينة واقع بعينه، بل معاينة تاريخ، وليست معاينة شريحة، بل معاينة مجتمع، وليست بالتالي اقتصاراً على فن تشكيلي صافي، بل استحضار لفنون أخرى، إذ نجد أنفسنا أمام مسرح وحركة مسرحية، أو أمام مشاهد سينمائية مصفوفة فوق بعضها أو أمام متواليات متسلسلة بل متناسلة من بعضها، أو حتى كأننا أمام اقتراح سينوغرافيا، أو أمام آلية سرد حكائي. فالأفكار المركبة على مستوى الواقع هي أيضاً مركبة على المستوى الفني. ومع الواقع تتداخل الأحلام السوريالية والكابوسية، وتتحوّل أرض المسرح إلى شرفات متراكبة، أو جدران يقف عليها الممثلون، أو سماء فسيحة تسبح فيها الأجساد. أو حجرات متعددة لحالات تعبيرية متقاربة.



المهم أن معلاً يفلت دائماً من أي إطار نحاول أن نضعه فيه، فإذا شاهدنا تقسيمه الهندسي لمساحة اللوحة بين مستطيلات ومربعات مثلاً، وجدناه في الوقت الذي يؤسس فيه لهذه الهندسية يعتمد دائماً إلى كسرهما واختراقها بما هو غير هندسي، وكذلك لو راقبنا الحركة التي يصوغها في مساحة اللوحة، لوجدناه يحرك الحشود مرة على شكل طبقات متوالية عمودياً وأفقياً، ومرة ثانية على شكل مثلث، ومرة ثالثة على شكل لولبي، وهكذا... كأنه يعتمد دائماً إلى هز نمطية اللوحة، وهز عقلنتها وصرانته وهدوئها واستقرارها. يوقف شخوصه على أرض، أو يحولهم إلى ما يشبه الأيقونات المعلقة على واجهة كنيسة، أو يجعلهم على مداخل أفبية. هذا الهز أو الخلخلة الدائمة لأي نظام في اللوحة تلحق أيضاً بأبعادها، فالفنان يصور شخوصه فوق سطح يقدم بعدين للشكل، لكن لا مانع لديه من أن يحول البعدين في جزء من اللوحة إلى ثلاثة.

إلا أن ذلك الكسر المتنامي الذي يتحول إلى هاجس لدى الفنان، لا يحول اللوحة إلى مساحة للتجريب الفالت من أي أفكار مسبقة، أو التجريب المتماذي مع مزاج متقلب، أو التجريب الذي يبحث عن غرائبية بأي ثمن، بل يجعل اللوحة مسرحاً لا يستطيع الممثل أن يكرر فيه نفسه أمام المشاهد، ولا أن يقدم إيقاعاً واحداً من شأنه أن يشتت انتباه العين، ولا أن يعتمد حركة تتحول إلى مفردة يتركب منها كل مشهد. هكذا يتعامل أحمد مع لوحته. هكذا يرفض نفسه ويتمرد عليها بشعرية عالية.

حتى اللوحات الحروفية يقدمها كتطور وحركة تغيير في لوحته، فلا يبدو كأنما قفز من موضوع تشكيلي إلى آخر غريب عنه، أو من مفردة لونية إلى مفردة كتابية، فهو يستخدم الخطوط في كثير من لوحاته، على أنها تساهم في بلورة صيغ حركية، يلوي معها أجساد شخوصه، ويختصر بها صيغه التعبيرية، وهو استخدم الحرف العربي خلفية لبعض لوحاته السابقة ولوحات موجودة في معرضه البيروتي، الذي يضم عموماً أعمالاً جديدة، وتعامل مع المساحة التي تضمها تماماً مثلما تعامل مع شخوص اللوحات، فوزعها على متواليات هندسية عمل على كسرها مراراً. بل هو، أكثر من ذلك، دمّج الحروف والشخوص، أو حول الشخوص إلى حروف، إذ هو انتقل، على الأرجح، من الرسم وخطوطية الأجساد إلى التقرب من خطوطية الحرف، لا العكس.

لا أظن أن الفنان معلاً أراد من انحرافه في اتجاه الحروفية أن يؤكد انتماءه إلى مدرسة، أو أراد البحث عن هوية عربية أو شرقية، ذلك أنه لم يفعل ذلك في تجاربه السابقة، وأنا إذا أخذنا السياق العام لآلية التغيير التي اتبعها ويتبعها للإفلات من أي تكرار أو أي استقرار، تنتبه إلى أن الحروفية هنا ليست إلا شكلاً من أشكال التغيير وممارسة الحرية.

لا شك في أن الفرق بين مساحة اللوحة الحروفية و لوحة الحشود كبير، رغم كل الجسور الممتدة بين الصنفين، فالأولى تميل إلى التبسيط الذي لا يعقد دخول العين، بل يعمل على تقديم صيغة بصرية عائمة على السطح، في حين رأينا في الثانية مساحة أكثر تركيباً وتعقيداً، في الكثير من اللعب بالأبعاد وحركة الأجساد وشعرية المشهد. ولا شك بالتالي في القول إن لوحة الشخوص التي جعلها الفنان تتسع للكثير من الابتكارات الممتعة، بدت أغنى بكثير من التجربة الحروفية، وإن كانت الحرفية التي يتمتع بها الفنان تجعله ينقل المتعة إلى حيث تضرب ريشته.

أحمد بزون

المصدر: السفير



## إرسال تعليق جديد

اسمك: \*

البريد الإلكتروني: \*

سيبقى محتوى هذا الحقل خاصاً ولن ينشر للعموم.

صفحة ويب:

الموضوع: